Editor - in- Chief
Fakhri Karim
Al Mada
General Political Daily
(29) November 2006
http://www.almadapaper.com
E.Mail-almada@almadapaper.com

العين النفسية

في سيكولوجية الأزمة

أ.د.قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية

واحدة من علل قادتنا السياسيين أنهم يعزون الأزمات السياسية الى أسباب سياسية خالصة، في حين نرى –نحن السيكولوجيين – أن اتساع العنف وتصاعده في أوقات الأزمات (الطائفية تحديدا) يعود الى أسباب نفسية،في مقدمها : أن"العقل المنطقي"يتعطل عن التفكير ويحل محلّه"العقل الشعبي".
ومن خصائص هذا العقل"الشعبي"أن الانفعال هو الذي يتحكم به في ساعة الأزمة. وأنه يجعل الإنسان بحالة لا يجد فيها الوقت للتوقف والتفكير بنتائج سلوك طائش وافعال غير عقلانية،يندفع نحو ارتكابها حتى لو كانت بربرية. والغريب في الأمر أن الجمع من هذه الطائفة أو تلك، يتصرف بإيقاع واحد لدرجة أنه حتى لو كان بين أفراده"مثقف أو متحضر"فانه يتصرف وسط الجمع الذي هو فيه بطريقة بربرية أيضا !. والغريب أيضا،أن السلوك الطائش وغير العقلاني ينتشر بين أفراد هذا الجمع أو ذاك بـ(عدوى) سريعة..تماما كما لو كانت انفلونزا وبائية. والمفارقة،أن الجموع تتصرف بطرائق لا يقبل بها أعضاؤها منفردين،وأنهم يعترفون لك بأنها تتنافى مع معاييرهم وقيمهم الشخصية.
ما يحصل سيكولوجيا،أن الإنسان حين يكون في جمع هائج ضد جمع آخر وجد فيه أو يتوقع أنه سيلحق به أذى أو يفنيه،فان أعضاء هذا الجمع يتوحدون في"طقس هستيري"للانتقام من ذلك الجمع. وسيتعامل الجمع مع كل فرد من أفراد الجمع الآخر وكأنهم أشرار. وانه عندما تتفشى الفوضى وتغيب القيادة وسلطة الدولة فأن"الإيحاء"يعمل على تغييب العقل وتتصرف الجموع وفقا لما يوحى لها وليس على أساس قيمها وما يأمر به دينها. حتى"الشخصية المثقفة"في الجمع تتراجع ليتولى"العقل الشعبي"الساذج توجيه سلوكها في أوقات الأزمة،لأن الهوية الشخصية للفرد تختفي في السلوك الجمعي،وتضيع فيه المسؤولية الفردية. ومن جهلنا،أننا نبث على الجموع المتحاربة...بالصوت والصورة...ومن موقع الحدث..مشاهد العنف الطائفي،من غير أن ندرك أن مشاهد الدم والأشلاء المحترقة للأهل والأحباب والأصدقاء،تشكل أهم أسباب الاستثارة الانفعالية،وتبرر مشروعية الانتقام من الجمع الآخر،وتوقظ فينا غريزة الثأر القابعة في أعماقنا من يوم داحس والغبراء !.
وشر المصائب أننا نحن العراقيين أصبنا بـ"الإدمان"على الأزمات. وعلّة المدمن على شيء أنه يريد المزيد من الجرعات الى أن يصل الى الجرعة القاتلة. وهذا ما نخشاه..ان إدماننا على الأزمات..قد يوصلنا الى الكارثة الختامية !.